نزول القرآن

أنزل الله تعالى القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا فى ليلة مباركة من شهر رمضان هى ليلة القدر. ثم نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب رسول الله ﷺ منجما مفرقا مفصلا بحسب الوقائع والأحوال فى ثنتين وعشرين سنة وشهرين وثلاثة عشر يومًا. ثم رتبت الآيات فى السور بتوقيف من رسول الله ﷺ موحى إليه به إذ كان جبريل عليه السلام يعرض عليه فى شهر رمضان من كل عام جملة ما سبق نزوله مرتبًا حتى تم نزول القرآن كله فعرضه عليه كاملاً مرتبًا فى عرضتين. أما الكتب المتقدمة فقد كانت تنزل جملة واحدة.

جعل الله تعالى القرآن نورًا يهدى به من يشاء من عباده إلى الصراط المستقيم والأمر لله يهدى من يشاء من عباده ويضل من يشاء. فهو تنزيل من رب العالمين بلسان عربى فصيح واضح أوحاه إلى النبى ﷺ لينذر به بأس الله على من خالفه ويبشر به من أطاعه. وهو مذكور فى كتب الأولين وقد أخذ الله مثياق أنبيائهم بذلك وبشر به عيسى عليه السلام خاتم أنبياء بنى إسرائيل. وشهد به عبد الله بن سلام من علماء بنى إسرائيل.

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ... ﴾ [الدخان: ٣].

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ... ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٧].

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ [غافر: ١٥].

﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

قال رسول الله ﷺ:

«أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزلت الزبور لاثنتى عشرة من رمضان وأنزل الإنجيل لثمان عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لسبع وعشرين مضت من رمضان».

وأول ما نزل من القرآن:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

نزلت فى السابع والعشرين من رمضان من العام الثالث عشر قبل الهجرة.

أما آخر ما نزل من القرآن الكريم فهى سورة النصر. نزلت بمنى فى العاشر من ذى الحجة من العام العاشر الهجرى.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ - ٣].

وقيل إن آخر ما نزل هو شطر الآية الثالثة من سورة المائدة:

﴿... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣].

عندما تلاها رسول الله ﷺ استشعر عمر رضى الله عنه ببصيرته وبقلبه الواصل دنو أجل رسول الله ﷺ فبكى.

اتهام النبى ﷺ باختلاقه

ذلك هو الاتهام وهذا هو التحدى.

* لو اجتمعت الإنس والجن واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله الله تعالى على رسول الله ﷺ لما استطاعوا ولو تضافروا وتعاونوا واشتركوا جميعًا لأن كلام الخالق سبحانه وتعالى لا نظير له ولا عديل له ولا مثال له ولا يستطيع أحد أن يأتى بعشر سور ولا بسورة واحدة من جنس هذا القرآن ولو استعان بمن شاء من دون الله فلن تبلغ بلاغة كلام البشر بلاغة كلام القرآن وفصاحته وحلاوته وجزالته وطلاوته وبراعته وإيقاعه.

يقول الله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿ ... قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

﴿ ... قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

* وكان المشركون إذا ما تليت عليهم آيات الله تعالى بينات واضحات قالوا هذا سحر وادعوا أن دين آبائهم هو الحق وتارة يقولون هذا أضغاث أحلام وتارة أخرى يقولون هذا شعر. واتهموا النبى ﷺ باختلاقه وباستعانته على جمعه بقوم آخرين وقالوا إن جبرا غلام الفاكه بن المغيرة الحضرمى هو الذى علمه. وجبر هذا نصرانى أعجمى والقرآن الكريم عربى مبين. وقالوا إن النبى ﷺ قد استنسخ كتب الأولين وقال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين.

خسىء النضر الكذاب الأشر وقتل يوم بدر. وهذا القرآن الحكيم العزيز غير ذى عوج ولا يمكن أن يكون إلا من عند الله الواحد الأحد وقد جاء مصدقًا الكتب المتقدمة ومهيمنًا عليها وموضحًا ما وقع فيها من تحريف وتبديل ومبينًا الأحكام والحلال والحرام.

وطالب المشركون رسول الله ﷺ أن يأيتهم بآية مثل ناقة صالح عليه السلام أو آيات موسى وعيسى عليهما السلام، والله تعالى شهيد على كذب ادعائهم، وهو غفور رحيم لمن شهد بالحق وتاب وأناب.

يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٧].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣].

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣].

﴿ ... قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤].

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ

الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

قصص الأنبياء فى القرآن

يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ... ﴾ [غافر: ٧٨].

قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه لرسول الله ﷺ: كم الأنبياء قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا». قال: كم الرسل منهم. قال: «ثلاثة مائة وثلاثة عشر جم غفير». قال: يا رسول الله من كان أولهم. قال: «آدم». قال: يا رسول الله نبى مرسل. قال: «نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه...».

والأنبياء الذين ذكر الله تعالى أسماءهم فى القرآن الكريم هم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهارون والياس واليسع وذو الكفل وداود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وخاتمهم محمد ﷺ.

يقول الله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

لمن الغافلين أى لا علم لك بهم.

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

فهذا القصص إنما يدعو إلى الصبر.

ولقد قص الله تعالى فى القرآن المبين أحسن القصص فلا يتخذ المسلم مصدرًا آخر لهذا القصص.

أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكتاب من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى ﷺ فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى

بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه، والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعنى».

ويقول الله تعالى:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

قائم وحصيد أى عامر وهالك، وما زالت آثار سدوم قرية لوط باقية عبرة للناس.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

ويقول الله تعالى:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

يقص الله تعالى أخبار الرسل على النبى ﷺ وما احتملوه من الأذى والتكذيب وكيف نصرهم الله وخذل أعداءهم، وفى هذه الأخبار الحق من المولى عز وجل وموعظة تعظ المؤمنين بما سلف من القرون وتذكرهم بطاعة الله ورسوله.

ويقول الله تعالى:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحج: ٣٢ - ٤٤].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٢ - ١٤].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾ [غافر: ٥، ٦].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: ٤ - ١٢].

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٥٠ - ٦٢].

تلك أمم كذبت رسلها فأبادها الله وجعلها عبرة وتذكرة، وليطمئن الرسول ﷺ والمؤمنون وليوقنوا أن الله ناصرهم وموهن كيد الكافرين.

يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

أى لقد كان فى قصصهم عبرة لذوى العقول وما كان حديثًا يختلق ولكن تصديق الكتب المنزلة من السماء يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما فيها من تحريف وتبديل وتغيير، وتفصيل كل شىء مما يحتاجه الناس فى أمور دينهم ومعاشهم وهدى ورحمة لمن يؤمن بالله ويلتزم صراطه المستقيم.

وفى قصصهم إنذار للمكذبين أن يهلكهم الله بجنوده ﴿... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ...﴾ [المدثر: ٣١] أى لا يحصيها إلا هو. فمن جنود الرحمن: الماء أهلك قوم نوح وأهلك فرعون وجنوده، والريح أهلكت قوم هود وهزمت الأحزاب، والصاعقة أهلكت قوم صالح، والصيحة أهلكت قوم لوط. وحجارة من سجيل أهلكت أصحاب الفيل، والأرض ابتلعت قارون. والجراد والقمل والضفادع والدم هاجموا فرعون وقومه، والملائكة أعانت المسلمين يوم بدر ويوم حنين والنار كانت بردًا وسلامًا على إبراهيم، فالسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار والنور والظلام والرياح والسحاب والأنهار والبحار والماء والنار والرعد والبرق والمد والجزر والصواعق والعواصف والزلازل والبراكين والصوت والضوء والحرارة والكهربا والمغناطيسية والجاذبية والطيور والأسماك والحيوانات والحشرات والخلايا والذرات والجراثيم والميكروبات... كلها جنود ينفذون أمر الله القدرى طواعية ليس لهم إرادة ولا اختيار جعلهم الله أسبابًا تجرى فى الكون وفق نواميس وأوامر إلهية والله قيوم مهيمن عليها إن شاء عطلها وإن شاء عدلها بقدرته الطليقة. ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

يقول الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦ - ٩٩].

وفى قصصهم تسلية لرسول الله ﷺ وإخبار له بأن ما لاقاه من قومه هو مثل ما لاقاه الأنبياء من قومهم من تكذيب واتهام بالسحر والكهانة والجنون وإيذاء واعتداء وتهديد بالقتل وصد عن سبيل الله وقولهم ما أنت إلا بشر مثلنا وقولهم ما نحن بمبعوثين واستعجالهم العذاب وقولهم ما نحن بمعذبين وشركهم وعبادتهم الأصنام وإصرارهم على عدم ترك ما يعبد آباؤهم.

وفى قصصهم مشاهد كثيرة للابتلاء والصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ولحسن الطاعة والالتجاء إلى الله، ومن الأمثلة البارزة للصبر: صبر إبراهيم عليه السلام حين قذف فى النار وحين أسكن امرأته وابنه فى واد غير ذى زرع امتثالاً لأمر الله وصبره هو وإسماعيل عليهما السلام حين هم بتنفيذ الرؤيا، وصبر يوسف عليه السلام على حقد إخوته ومحنة الجب ومحنة الاسترقاق وكيد امرأة العزيز ومراودتها إياه عن نفسه ومحنة السجن والاتهام بالسرقة وصبره على ابتلاء الرخاء عندما أصبحت السلطة فى يده. وصبر أيوب عليه السلام حين مسه الضر وامتحنه الله فى بدنه وماله وأهله وحين مسه الشيطان بنصب إذ وسوس لخلصائه أن لو كان الله يحبه ما ابتلاه فانفضوا من حوله.

وهذا جزاء الصابرين:

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩ - ١١١].

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل:

«يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أما ترضى أن نجزيك كم جزينا هذا الشاكر، فيقول نعم يا رب. فيقول الله تعالى: كلا أنعمت عليه فشكر، وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين».

يقول الله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

الأمثال فى القرآن الكريم

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ... ﴾ [الإسراء: ٨٩].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ... ﴾ [الكهف: ٥٤].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ... ﴾ [الروم: ٥٨].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

* يقول الله تعالى:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٧، ١٨].

هذا مثل للمنافقين الذين استحبوا العمى على الهدى بعد ما تبين لهم نور الهدى ثم هجروه فمثلهم كمثل الذين استوقدوا نارًا فلما أضاء لهم نورها لم ينتفعوا به، وذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات الضلال لا يبصرون فهم صم قد عطلوا آذانهم وبكم قد عطلوا ألسنتهم وعمى قد عطلوا عيونهم فلا رجعة لهم إلى الله ولا هداية لهم إلى النور.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

* ويقول الله تعالى:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠].

هذا مثل لما فى نفوس المنافقين من ضلال وقلق وجزع وخوف وتردد بين الهدى والضلال فمثلهم كمثل المطر ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

وهم يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت فالظلمات هى الضلال والرعد هو القلق والجزع والبرق هو نور الإيمان كلما لمع فى قلوبهم مالوا إلى الهدى وإذا أظلم عليهم ارتكسوا إلى الضلال والله على إذهاب سمعهم وأبصارهم لقدير.

* ويقول الله تعالى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

هذا مثل للذين كفروا فيما هم فيه من غى وضلال فمثلهم كمثل البهيمة إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت ولا تفقهه. بل هم أضل منها فإنها ترى وتسمع وتصيح ولكنهم صم ولو كانت لهم آذان وبكم ولو كانت لهم ألسنة وعمى ولو كانت لهم عيون ما داموا لا ينتفعون بآذانهم وألسنتهم وعيونهم ولا يهتدون، فهم لا يعقلون ولا يهتدون إلى عبادة الله الواحد الأحد.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

* ويقول الله تعالى:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨].

هذا مثل للمشركين الذين يتخذون من دون الله شركاء وهم لا يرتضون على أنفسهم أن يشاركهم مواليهم فى ما تحت أيديهم من مال فيكونوا فيه على السواء، فكيف يجعلون لله اندادًا من خلقه. وهذا مثل واضح لا يخفى على العقل المستقيم.

* ويقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن

دُونه من شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤١ - ٤٣].

هذا مثل للذين أشركوا بالله واتخذوا أصنامًا آلهة من دونه فمثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فلن تعصمهم أصنامهم من الله شيئًا فهو العزيز الحكيم.

﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

واتخذ جماعة من المشركين هذا المثل مادة للسخرية والتهكم وقالوا إن رب محمد يتحدث عن العنكبوت، فهم لا يعقلون. ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

* ويقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

هذا مثل لعجز انداد المشركين عن خلق ذباب وما أضعف الذباب وعجزهم عن مقاومته ورد ما يسلبهم إياه فما أضعف الأنداد. فهؤلاء المشركون ما قدروا الله حق قدره فهم لا يعبدون الله القوى العزيز ويشركون به أندادًا عاجزة عن خلق ذباب ومقاومته، والله خالق كل شيء.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

* ويقول الله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

﴿الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٨].

هذا مثل لرجل تبينت له آيات الله ثم استحوذ عليه الشيطان فاتبع هواه وزاغ عنها فكان من الهالكين، فمثله فى إقباله على لذات الدنيا كمثل الكلب يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد فلا همَّ له إلا فى تحصيل أكلة أو شهوة.

ولو شاء الله لرفعه من هذا المستنقع بما أتاه من علم إن تاب واستجاب لآيات الله، ولقد ضرب الله هذا المثل للقوم الذين كذبوا بآيات الله لعلهم يتفكرون ويحذرون أن يكون لهم مثل السوء فيرجعوا إلى الله، والله يهدى من يجاهد ليهتدى ويضل من يعرض عن الهدى ويبغى الضلال لنفسه.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١].

* ويقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

هذا مثل للذين حملوا التوراة ثم لم يعملوا بها فمثلهم كمثل الحمار الذى يحمل كتبًا وهو لا يفقه ما فيها، بئس مثل هؤلاء القوم الذين كذبوا بآيات الله وغرقوا فى الضلالة إنهم أسوأ حالاً من الحمير والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بآيات الله.

* ويقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

هذا مثل لأعمال الكافرين ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٤، ١٠٥] فمثل أعمالهم كسراب بسهل يحسبه الظمآن ماء، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه على أعماله لم يجد له شيئًا، فليتعظ الكافرون فالله سريع الحساب.

* ويقول الله تعالى:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

هذا مثل لأعمال الكافر وضلاله فهى ظلمات بعضها فوق بعض: ظلمات البحر العميق الذى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، إذا أخرج يده لم يكد يراها من شدة الظلام، ومن لم يهده الله فما له من نور يهديه.

* ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٦، ١١٧].

هذا مثل لما ينفقه الكافرون فى الحياة الدنيا، فمثل ما ينفقون كمثل حرثهم وثمارهم تهب عليها ريح فيها برد شديد فتحرقها، ولا يرد ما ينفقون بأس الله ولا عذابه عنهم كذلك أولادهم لن يغنوا عنهم من الله شيئًا بل يمحق الله ثواب أعمالهم كما تفعل الريح بزروعهم، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم فهم أصحاب النار هم فيها خالدون.

* ويقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦].

هذا مثل للإيمان والعمل الصالح، ومثل للكفر والعمل الطالح، فالإيمان ينفع صاحبه كل حين فالمؤمن يرفع عمله الصالح فى كل وقت مثله كشجرة طيبة (النخلة) لا يتحات ورقها صيفًا ولا شتاء أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها. ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ويزدادون إيمانًا ويكثرون من عمل الصالحات. أما الكفر فإنه لا ينفع صاحبه فالكافر لا يصعد له عمل ولا يتقبل منه شىء مثل شجرة خبيثة (الحنظل) استؤصلت من فوق الأرض لا أصل لها ولا ثبات.

* ويقول الله تعالى:

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

هذا مثل لزهوق الباطل وعدم الانتفاع به وثبات الحق وبقاؤه والانتفاع به فى الدنيا والآخرة، فمثل الباطل كالزبد الذى يطفو على ماء الأودية عندما تسيل بعد نزول المطر فهو لا يثبت مع الماء وكالزبد الذى يعلو المعدن إذا ما أوقد عليه فى النار فهو لا يثبت مع المعدن. فالزبد لا ينتفع به، أما مثل الحق والعمل الصالح فإنه كمثل الماء والمعدن ينتفع بهما. كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يعقلون أن الباطل زاهق يذهب جفاء وأن الحق والعمل الصالح ينفع الناس فى الدنيا والآخرة.

* ويقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

هذا مثل لأعمال الكفار فمثلها كالرماد تذروه الرياح لا ينفعهم فى الآخرة لأن سعيهم وعملهم فى الدنيا كان فى ضلال لا يثابون عليه.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

* ويقول الله تعالى:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

هذا مثل للمؤمن الذى كان فى ضلال فأحيا الله قلبه بالإيمان وهداه وجعل له الإسلام والقرآن نورًا يهتدى به فى حركته، أفيكون كمن هو غارق فى ضلال لا يخلص منه وقد حسب أنه يحسن صنعًا.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

* ويقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٩].

هذا مثل للمؤمن الموحد بالله وللمشرك الذى جعل مع الله أندادًا مثلهما كمثل عبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضًا فيه وهو مقلقل لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق، وعبد يملكه سيد واحد فهو مستريح مستقر على منهج واحد، فهما لا يستويان، كذلك لا يستوى المشرك الذى يعبد آلهة مع الله والمؤمن الذى لا يعبد إلا الله وحده، ضرب الله هذا المثل فى القرآن للناس لعلهم يتذكرون وهو قرآن عربى مستقيم واضح يخاطب الفطرة، بمنطق مفهوم فالحمد لله ولكن أكثرهم يشركون.

* ويقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

هذا مثل للكافرين والمؤمنين (وقد أشير إليهم فى الآيات التى سبقت هذه الآية) فمثل الكافرين كمثل الأعمى عن الحق لا يهتدى إليه، والأصم عن سماع آيات الله فلا يهتدى بها، ومثل المؤمنين كمثل البصير بالحق يهتدى إليه والسميع لآيات الله يهتدى بها، فهما لا يستويان مثلا، أفلا تعتبرون.

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

* ويقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

نور الله ينير السماوات والأرض، وهذا مثل لنوره فى قلب المؤمن، فقلب المؤمن كمشكاة (كوة فى الجدار) فيها مصباح منير، المصباح فى زجاجة تتلألأ كأنها كوكب من در وزيت المصباح صاف يكاد يضىء بذاته دون أن تمسسه نار (فهو مستمد من شجرة زيتون مباركة فى مكان وسط فى جبل الطور بسيناء).

نور على نور: نور المصباح ونور الزجاجة ونور الزيت والمشكاة تجمع هذه الأنوار وتركزها، والله ينير قلب من يشاء بالإيمان، وهو أعلم بمن يستحق الهداية، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم ينيبون إلى الله فتعمر أفئدتهم بالنور.

* ويقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

هذا مثل لتضعيف الثواب إلى سبعة مائة ضعف لمن ينفق ماله فى سبيل الله. فمثل ثوابه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله ذو فضل واسع لا ينضب وهو يضاعف لمن يشاء بحسب إخلاصه فى الإنفاق لوجه الله بلا رياء ولا نفاق ولا مَنٍّ ولا خوف من الإقلال. والله عليم بالنيات لا تخفى عليه خافية.

قال رسول الله ﷺ: «أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالاً».

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* ويقول الله تعالى:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤].

هذا مثل للذي يبطل صدقته بالمن والأذى وينفقها رئاء الناس ليقال كريم وليس ابتغاء مرضاة الله فمثله كصخر عليه تراب فأصابه مطر شديد فتركه أملسا لا شىء عليه من ذلك التراب فقد ذهب كله فهو لا يخرج زرعًا ولا ثمرًا كذلك تذهب صدقته هباء فقد بطلت بالمن والأذى والرياء.

* ويقول الله تعالى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

هذا مثل للذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله بتثبت وإيمان وإخلاص فى العقيدة والنية فمثلهم كمثل بستان بربوة أصابه مطر شديد أو رذاذ خفيف فأحياه وأخصبه ونماه فآتى ثمره ضعفين فهو لا يمحل أبدًا.

كذلك عمل المؤمنين لا يبور أبدًا بل يتقبله الله وينميه بحسب أعمالهم فالله لا يخفى عليه شىء من أعمال عباده.

قال رسول الله ﷺ:

«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه (أى مهره) حتى تكون مثل الجبل».

* ويقول الله تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

هذا مثل للحياة الدنيا فى زوالها فمثلها كمثل ماء أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الأرض فنما وترعرع ثم أصبح يابسًا تذروه الرياح، والله على كل شىء قدير، كذلك الدنيا مآلها إلى الزوال والإنسان مآله إلى الموت.

﴿ ... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ... ﴾ [القصص: ٨٨].

* ويقول الله تعالى:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

هذا مثل لزوال متاع الحياة الدنيا من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر فى الأموال والأولاد، فمثل هذا المتاع كمثل غيث أخرج الله به نباتًا نما واخضر وازدهر فأعجب الزراع ثم هاج فاصفر ثم أصبح حطامًا، فالدنيا فانية أما الآخرة فهى دار القرار الدائمة فيها الحساب إما عذاب لمن غره متاع الحياة الدنيا وغرر به، وإما مغفرة ورضوان من الله لمن عمل لآخرته.

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

* ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

هذا مثل للحياة الدنيا فى زوالها فمثلها كمثل نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام أنبته الله بماء أنزله من السماء ازدهر وظن أصحابه أنهم قادرون على حصاده فأتاه أمر الله ليلاً أو نهارًا وأصبح حصيدًا كأن لم يكن، وقد ضرب الله هذا المثل ليذكر الناس بقدرة الله وبزوال الحياة الدنيا فلا يتكالبوا على الدنيا ولا يغتروا بها وليعلموا أن الرزاق هو الله وأن المحيى والمميت هو الله والمعطى هو الله وأن الأمر كله بيد الله وأن الأسباب من الله والنتائج من الله وهى قدر الله تقع بمشيئته وقدرته. وقدرته سبحانه وتعالى طليقة لا يتقيد بنواميس الكون فهو خالق هذه النواميس وهو القيوم المهيمن عليها إن شاء أنفذها وإن شاء عطلها.

* ويقول الله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

هذا مثل لأم القرى جحد أهلها وكذبوا الرسول ﷺ فأصابهم القحط أربع سنوات فضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة يأتيها رزقها سهلاً هنيئًا من كل مكان فجحد أهلها آلاء الله وكذبوا رسول الله إليهم فأذاقها الله الجوع والخوف وأخذهم العذاب جزاء بما كانوا يصنعون، ضرب الله هذا المثل ليوقظ عقول وأفئدة قريش فيشكروا الله على أنعمه ورزقه ويعبدوه وحده دون شرك وأنداد.

* ويقول الله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

هذا مثل للمقارنة بين الله سبحانه وتعالى الذى يرزق جميع الأحياء وبين ما يتخذه الكافرون أندادًا لا تقدر على شىء، هل يستويان؟

ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يملك شيئًا ولا يقدر على الإنفاق ومالكه واسع الرزق ينفق سرًا وجهرًا، هل يستويان. الحمد لله فالمثل واضح ولكن قلوب كثير من المكذبين غلف فهم لا يعلمون.

* ويقول الله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْت بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

هذا مثل للمقارنة بين الرحمن سبحانه وتعالى وبين الصنم الأبكم فمثلهما كمثل رجلين أحدهما يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والآخر أبكم لا يقدر على شىء ليس منه نفع ولا فائدة هل يستويان.

* ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

هذا مثل لخلق عيسى عليه السلام فمثل خلقه كمثل خلق آدم عليه السلام.

خلق الله عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم بل خلقه من تراب وقال له كن فيكون.

* ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

لما ضرب الله أمثلة من العنكبوت والذباب سخر بعض الكافرين لصغر حجم هذه الحشرات، فقال العلى القدير إنه لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، فالعبرة إنما هى فى سر خلقها وبعث الحياة فيها مع دقة أعضائها وفى قدرتها على إيذاء أكبر الأحياء حجمًا. فالذين آمنوا يدركون ذلك ويعلمون أن الله حق، وأن كلامه حق وأن أمثاله التى يضربها حق، أما الذين كفروا وفسقوا عن طاعة الله فهم فى ضلال لا يدركون ولا يعلمون.

آيات الحكم في القرآن

* آيات تشير إلى أن الحكم لله بمعنى الملك والتصرف لله يوم القيامة.

يقول الله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٦، ٥٧].

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: ٥٥ - ٥٧].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩].

﴿... فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [النساء: ١٤١].

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤].

ابتلى الله أهل قرية من قرى بنى إسرائيل بحيتان تكثر يوم سبتهم وتختفى فى غيره فعصى بعض أهلها واحتال على صيدها بإقامة سدود لحجزها يوم السبت وانتشالها يوم الأحد واختلفت آراء أهل القرية فمنهم من أيد هذا الاحتيال ومنهم من استنكره ومنهم من وقف موقفًا سلبيًا، واليهود هم الذين تخلوا عن يوم الجمعة المقدس وطلبوا من الله أن يجعل لهم يومًا آخر فجعل لهم يوم السبت يومًا حرمًا.

قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد».

* آيات تشير إلى أن الحكم بمعنى الفصل بين الناس فيما هم فيه يختلفون.

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة: ٤٢، ٤٣].

تشير الآية إلى الفصل بين اليهود بيثرب فى جريمة زنى إذ قدم إلى رسول الله ﷺ نفر من اليهود ومعهم رجل وامرأة قد زنيا بعد إحصان ليفصل بينهم فقال: «كيف تفعلون بمن زنى منكم». قالوا نحممهما ونضربهما.

فقال: «ألا تجدون فى التوراة الرجم»، قالوا لا نجد فيها شيئًا، فقال عبد الله بن سلام كذبتم. وجاءوا بها ووضع حبرهم كفه على آية الرجم يخفيها ويقرأ ما دون ذلك فنزع بن سلام كفه وقال ما هذه قال آية الرجم. وأمر النبى ﷺ بالزانى والزانية فرجما.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ...﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾ [المائدة: ٤٩].

ويقول الله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

تشير الآية إلى قول شعيب عليه السلام لقومه أصحاب الأيكة أن يصبروا حتى يفصل الله بينهم.

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

﴿الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

توصى الآية داود عليه السلام أن يفصل بين الناس بالحق.

جاءه رجلان قال أحدهما هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اجعلها فى كفالتى واغلظ لى فى القول فاندفع داود عليه السلام يقضى دون سماع أقوال الطرف الثانى قال لقد ظلمك وإن كثيرًا من الخلطاء يبغى بعضهم على بعض ثم تنبه واستغفر ربه وخر راكعًا وأناب.

ودخل رجلان عليه أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم قال صاحب الحرث إن غنم هذا قد انطلقت فى حرثى ليلاً فلم تبق به شيئًا فحكم له أن يأخذ غنم خصمه فى مقابل ما تلف من حرثه، وأخبر صاحب الغنم سليمان عليه السلام فقال لأبيه ادفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بها وادفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده فقضى داود عليه السلام بما قضى به سليمان عليه السلام.

* آيات تشير إلى الحكم بمعنى رجوع الأمر إلى الله فهو خير من يرجع إليه وهو لا يشرك فى أمره أحدًا وهو يأمر بما يريد.

يقول الله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٥، ٢٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

يحكم ما يريد أى يأمر بما يريد، والوفاء بالعقود أى بعهد الله فيما أحل من الإبل والبقر والغنم وما حرم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وصيد البر وأنتم حرم. والعقود ستة: عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ذلكم حكم الله يحكم بينكم أى ذلكم أمر الله يفصل بينكم فى أمر المهاجرات اللائي لم يكن فى صلح الحديبية نص قاطع بشأنهن فأطيعوا أمره ونفذوه.

* آيات تشير إلى الحكم بمعنى العدل.

يقول الله تعالى:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

ينكر الله عز وجل على الكافرين والصابئين الضالين جاهليتهم وخروجهم عن الإسلام بأعمال الحرابة والإرهاب وقتل النفس التى حرم الله والعدول عن أحكام الزواج والعدة وغيرها من أحكام الإسلام، ومن أحسن من الله حكمًا أى ومن أعدل من الله فى حكمه. ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨] بلى وأنا على ذلك من الشاهدين فالله سبحانه وتعالى خير من يفصل بالعدل ولا يظلم أحدًا.

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٠].

كبيرهم هو رأوبين ويحكم الله لى أى يمكننى من أخذ بنيامين. وهو خير الحاكمين أى خير المقيمى العدل.

* آيات تشير إلى حكم الله بمعنى قدر الله

يقول الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

والله يحكم لا معقب لحكمه أى هذا قدر الله ولا مغير لقدره. وهو سريع الحساب يوم القيامة ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]. هذا هو قول يعقوب عليه السلام لأبنائه.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

* آيات تشير إلى الحكم لله بمعنى الطاعة والتوحيد لله.

يقول الله تعالى:

﴿... إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾ [البقرة: ٢١٣].

كان الناس قبل نوح عليه السلام أمة واحد تعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا ثم انحرف كثير منهم وجعلوا لله أندادًا فبعث الله مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه يأمرهم بطاعة الله وتوحيده.

من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه».

«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدنى لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم».

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

فحكمه إلى الله أى فردوه إلى الله وأطيعوه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

* آيات تأمر بالعدل.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

سرق بشير بن أبيرق درع رفاعة بن زيد واتهمه رفاعة وقام ابن أخيه قتادة ابن النعمان بإبلاغ النبى ﷺ فألقى ابن أبيرق الدرع فى بيت زيد بن السمين (اليهودى) وأوعز إلى نفر بإبلاغ النبى ﷺ أن ابن السمين هو السارق. ووجد الدرع فى بيت ابن السمين وبرأ النبى ﷺ ابن أبيرق وعذره على رءوس الناس وأنب قتادة على رميه ابن أبيرق بالسرقة على غير بينة.

ثم انكشف أمر بشير لأن الدرع كان فى جراب به دقيق وكان بالجراب خرق فانتثر الدقيق منه فى الطريق من دار بشير إلى دار زيد بن السمين واستغفر النبى ﷺ الله عز وجل وأمر بقطع يد بشير. وقال: «ألا إنما أنا بشر وإنما أقضى بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليحملها أو ليذرها».

* آيات تصف من لم يحكم بما أنزل ا ه من أهل الكتاب تارة بالجحود وتارة بالظلم وتارة أخرى بالفسق.

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومن لم يحكم من اليهود بما أنزل الله فى التوراة (دون أن يبدلها أو يحرفها) فأولئك هم الجاحدون حكم الله.

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

ومن لم يحكم من اليهود بما أنزل الله من أحكام القصاص فأولئك هم الظالمون يطبقونها على بعضهم ولا يطبقونها على البعض الآخر ويفرقون بين بنى قريظة وبنى النضير.

عن ابن عباس رضى الله عنه: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق».

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

ومن لم يحكم من أهل الإنجيل بما أنزل الله ويخفى ما جاء به من بشارة ببعثة النبى ﷺ والأمر باتباعه فأولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن طاعة الله فيما أمرهم به من اتباع محمد ﷺ. ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣]. فالله تعالى يدعو أهل الكتاب إلى كتاب الله ليحكم بينهم فى شئون حياتهم ومعاشهم.

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة: ٦٨، ٦٩].

﴿ ... قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

آيات سجدة التلاوة

آيات سجدة التلاوة ست عشرة آية: ثنتا عشرة آية مكية وأربع آيات مدنية. وآيات السجدة ثلاثة أنواع:

النوع الأول:

آيات فيها أمر صريح بالسجود وهى أربع آيات: ثلاث آيات مكية وآية واحدة مدنية.

* ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

* ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢].

* ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] مدنية.

النوع الثانى:

آيات تتضمن استنكاف الكفار من السجود وهى خمس آيات مكية.

* ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [الفرقان: ٦٠].

* ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٥، ٢٦].

* ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

* ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ

وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧، ٣٨].

* ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الانشقاق: ٢٠، ٢١].

النوع الثالث:

آيات تتضمن امتثال الأنبياء والمخلوقات وهى سبع آيات: أربع آيات مكية وثلاث آيات مدنية.

* ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤].

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

* ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨] مدنية.

* ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

* ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥].

* ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥] مدنية.

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] مدنية.

الحنابلة والشافعية لم يدرجوا فى مواضع سجدة التلاوة (الحجر٩٨)، (ص ٢٤).

والمالكية لم يدرجوا فى مواضع سجدة التلاوة (العلق ١٩)، (النجم ٦٢)، (الحجر ٩٨)، (الحج ٧٧)، (الانشقاق ٢٠ ـ ٢١).

والحنفية لم يدرجوا فى مواضع سجدة التلاوة (الحجر ٩٨)، (الحج ٧٧)، (ص ٢٤) وأضافوا (ص ٢٥) ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢٥].

تكريم لقمان الحكيم

خلد القرآن ذكرى العبد المصرى الصالح لقمان الحكيم الذى أعطاه الله العلم والفقه والفهم والتعبير فحكى الله عنه فى كتابه الكريم وصاياه لابنه ليعمل بها الناس.

قال:

* يا بنى اعبد الله ولا تشرك به شيئًا إن الشرك أعظم الظلم.

* يا بنى إن ما تفعله من خير أو شر مهما دق وصغر يحضره الله يوم القيامة ولو كان مثقال حبة من خردل حين يضع الموازين القسط ويجازي عليه ولا تظلم نفس شيئًا. ولو كانت تلك الحبة مخبأة فى صخرة صماء أو غائبة فى أرجاء الأرض أو السماء فإن الله يأتى بها فهو لطيف العلم لا يخفى عليه شىء وإن دق وصغر ولطف وهو خبير بدبيب النمل فى الليل البهيم.

* يا بنى أقم الصلاة فى أوقاتها حق قيام وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما ينالك من أذى وبلاء فإن الصبر من عزم الأمور.

* يا بنى تواضع وابسط وجهك إلى الناس ولا تعرض به عنهم استكبارًا ولا احتقارًا.

* يا بنى تواضع ولا تمش فى مخيلة فإن الله لا يحب كل مختال فخور. قال رسول الله ﷺ: «والمخيلة لا يحبها الله».

* يا بنى تواضع وامش مشيًا وسطًا لا بالبطئ المختال ولا بالسريع المفرط.

* يا بنى تواضع واغضض من صوتك أى لا ترفعه.

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

التنكيل بأبى لهب وامرأته

نكل القرآن الكريم بعدو الله أبى لهب وامرأته وخلد ذكر هذا التنكيل إلى يوم الدين.

وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم رسول الله ﷺ وامرأته هى أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب.

وقد كانا من أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ وللدعوة التى جاء بها.

فأبو لهب كان يلاحق رسول الله ﷺ ويتصدى له ويسفهه ويقول له تبا لك ويقول للناس هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه.

وخرج أبو لهب على إخوته عندما عقد حلف بنى عبد المطلب وبنى هاشم لحماية النبى ﷺ وانحاز إلى كفار قريش وحالفهم وشاركهم فى صحيفة مقاطعة بنى هاشم وتجويعهم كى يسلموا النبى ﷺ.

وأمر أبو لهب ولديه أن يطلقا رقية وأم كلثوم بنتى رسول الله ﷺ.

وكانت أم جميل تحمل الشوك وتضعه فى طريق النبى ﷺ.

فأنزل الله تعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد: ١ - ٥].

نزلت هذه السورة بالوعيد والمذمة والسخرية اللاذعة والتصوير الزرى لأبى لهب وامرأته لتظل نكالا لهما يرددها المسلمون فى كل مكان وزمان إلى يوم الدين.

وهى دعاء بالهلاك لأبى لهب فى الدنيا وقد تب وهلك وضل عمله ولم يغن عنه ماله وسعيه. وسيصلى فى الآخرة نارًا ذات لهب وستصلاها معه امرأته حمالة الحطب وفى جيدها حبل من مسد جزاء وفاقًا. ويالها من مهانة لعزيز قوم ولعزيزة قوم.

يقول الله تعالى:

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ﴿١٢﴾ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١١ - ١٣].

ومات أبو لهب يوم الأربعاء الثانى والعشرين من شهر رمضان حسرة على هزيمة قريش فى وقعة بدر الكبرى.